بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الأول: تعريف الثقافة الإسلامية

وفيه ثمان مسائل

المسألة الأولى: تعريف الثقافة في اللغة.

لا يستطيع الباحث في مفهوم الثقافة الإسلامية أن يصل إلى معناها المحدد أو تصورها الدقيق إلا بعد أن يدرس مفهوم الثقافة في اللغة والاصطلاح العام ثم يرى بعد ذلك مدى انطباق هذا المفهوم على الإسلام وعلومه، أو الأمة الإسلامية وحياتها، وعليه فالثقافة في اللغة لها معاني متعددة منها:-

١) الحذق.
٢) الفطنة والذكاء.
٣) سرعة التعلم والفهم والضبط.
٤) الظفر بالشيء والتغلب عليه، ومنه قوله تعالى ((**وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ**}. البقرة آية:١٩١)، وقوله تعالى ((**فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**}. الأنفال(٥٧). والمعنى في الآيتين يدل على الظفر بالعدو.
٥) تسوية المعوج من الأشياء كالرماح والسيوف.
٦) ثبوت المعرفة بما يحتاج إليه.

- § يقال: غلام ثقف، يعني ذو فطنه وذكاء.
- § يقال: ثقفت الشيء، أي حذقته وظفرت به.

والمتأمل في معاني الثقافة في اللغة يجد أنها تستعمل في الأمور المعنوية والعقلية والأمور الحسية والمادية. غير أن استعمالها في الأمور المعنوية أكثر من استعمالها في الأمور الحسية المادية.

مثال الاستعمال المعنوي كقولك: ثقفت الشيء يعني فهمته. وثقف الصبي يعني ((أدبه وعلمه وهذب سلوكه)).

ومثال الاستعمال المادي الحسي كقولك:- تثقيف السيوف والرماح، يعني ((تسويتها وتقويم اعوجاجها)).

المسألة الثانية: تعريف الثقافة في الاصطلاح العام.

كلمة الثقافة بمعناها الحالي لم تكن معروفة عند العلماء المتقدمين، غير أن مضمونها كان واضحاً لهم.

وقد يرجع السبب في ذلك إلى أن هذه الكلمة لم تكن شائعة الاستعمال في عصرهم، ولهذا لا تجدهم ينعتون العلماء أو الباحثين بها، كما أنهم لم يتناولوها بدراسة مستقلة أو مؤلفات خاصة.

وحين دخلت الثقافة الإسلامية كعلم في حياة المسلمين المعاصرة انتشر التعبير بهذه الكلمة، فأصبحنا نصف فلاناً بأنه مثقف، أو نصف بالمثقفين العرب أو المثقفين المسلمين، وأصبح لدينا وزارة الثقافة والإعلام التي تتميز عن وزارة التربية والتعليم وكتب ثقافيه ومراكز ثقافية و أقسام للثقافة، وعلى هذا جاء تعريف الثقافة بالمعنى الاصطلاحي تعريفاً حديثاً، وقد تنوعت تعاريف الباحثين لهذا العلم، فمن تلك التعاريف:

١) تعريف المجمع اللغوي: عرف الثقافة بأنها: جملة العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق بها.

٢) تعريف بعض التربويين: قالوا بأنها: مجموعة الأفكار والمثل والمعتقدات والتقاليد والعادات والمهارات وطرق التفكير وأساليب الحياة والنظام الأسري وتراث الماضي ووسائل الاتصال والانتقال وطبيعة المؤسسات الاجتماعية في المجتمع الواحد.

٣) تعريف بعض المفكرين: قالوا بأنها: التراث الحضاري والفكري في جميع جوانبه النظرية والعلمية الذي تمتاز به أمة وينسب إليها ويتلقاه الفرد من ميلاده وحتى وفاته من ثمرات العلم والفكر الأخلاق وغيرها.

ملحوظات على هذه التعارف:

المتأمل في هذه التعاريف التي ذكرناه، وفي غيرها مما لم نذكره يلاحظ ما يلي: -

١) أنها تعاريف تتقارب في الفكرة وتتفاوت في الألفاظ، فبعضها لا يتعارض مع بعض بل يكمل بعضها بعضاً.

٢) أنها جزئية وليست كلية، بمعنى أن بعضها يركز على العلم والتعليم والتربية، وبعضها يركز على العادات والتقاليد، وبعضها يركز على العقائد والمذاهب، وبعضها يركز على السلوك الاجتماعي، وبعضها يركز على الاخلاق والفنون والاداب، وبعضها يجمع أكثر من عنصر.

والحق أن الثقافة ليست شيئاً جزئياً بل هي أمر كلي، فليست الثقافة هي العلم بمفرده، ولا تربية بذاتها، ولا العادات والتقاليد وحدها، ولا العقائد والمذاهب بذاتها، وإنما كل واحد من هذة العناصر يشكل واحداً من عناصر الثقافة.

٣) بعض هذه التعاريف يغلب عليه الطابع الإنشائي غير المنضبط.

٤) معظم هذه التعاريف يركز على الأمور المعنوية وأن الثقافة ذاتية فردية يختلف فيها الفرد عن الآخر والشعب عن الشعب الآخر و الأمة عن الأمة الأخرى. وهذا صحيح.

المسألة الثالثة: الفرق بين الثقافه والحضارة.

هناك عدة اتجاهات لتحديد الصلة بين مفهومي الثقافة والحضارة يمكن حصرها في أربعة اتجاهات، كما يلي: -

الاتجاه الأول: - اتجاه يسوى بين الثقافة والحضارة في المفهوم، ويرادف بينهما من جانب، وبين العلم والمدنية من جانب آخر.

الاتجاه الثاني: - اتجاه يرى أن الفرق بين الثقافة والحضارة هو فرق في الدرجة لا في النوع.

الاتجاه الثالث: - اتجاه يحصر الثقافة في الجانب المعنوي الذي تتميز به الأمة، بمعنى أن الثقافة تختص بالدراسات الأدبية والنظرية وما يتعلق بالأمور الدينية والمعنوية، والحضارة تختص بالمظاهر المادية كوسائل الاتصال والمخترعات والابتكارات الصناعية والتجارب الكونية.

الاتجاه الرابع: - اتجاه يرى أن الحضارة تشمل الثقافة والمدنية، فالثقافة تمثل الجانب المعنوي، والمدنية تمثل الجانب الحسي (المادي). وعليه فالحضارة هنا أعم من الثقافة والمدنية.

الترجيح:

الاتجاه الأخير وإن كان صحيحاً إلا أن الذي قبله الذي يفرق بين الحضارة والثقافة هو الأدق والأصح، لأن من سوى بينهما قد اختلط عليه الأمر، وفي الحقيقة هما وجهان العملة واحدة، الثقافة هي المظهر المعنوي للحضارة، والحضارة هي المظهر الحسي للثقافة. ويؤيد هذا الرأي ما يلي:- (أسباب الترجيح).

١) أن اللفظتين غير مترادفين في اللغة العربية.
٢) أنه يغلب في اللغة العربية استعمال كلمة الثقافة في الأمور المعنوية، والحضارة في الأمور المادية، كما سبق.
٣) أن التطور التاريخي لمصطلح الثقافة يدل على أن استعمالها في الأمور المعنوية أكثر من استعمالها في الأمور الحسية.
٤) أن الثقافة ذاتية سواء بالنسبة للفرد أو الأمة، بينما الحضارة عامة، فعالم اليوم تتحكم فيه حضارة واحدة، ولا يقال تتحكم فيه ثقافة واحدة.

المسألة الرابعة: الفرق بين الثقافه والعلم.

العلم: - معرفة تخصصية يكون بها الباحث متخصصاً في دراسة محددة.

أما الثقافة: - فهي معرفة إجمالية يكون بها المثقف عالما بدراسات متنوعة أو عامة.

وعلى هذا يقولون: (تعلّم كل شيء عن شيء ما لتكون عالماً، وتعلّم شيئاً ما عن كل شيء لتكون مثقفاً).

المسألة الخامسة: تعريف الثقافة الإسلامية.

تقدم أن علماء العربية لم يستعملوا الثقافه بالمعنى الواسع، و لم يؤسسوا علماً يسمى الثقافة، وكذلك الحال عند علماء المسلمين لم يستعملوا هذا الاصطلاح، و لم يقيموا علماً مميزاً يسمى الثقافة الإسلامية، وإنما جاء التعبير بالثقافة وليد الدراسات المعاصرة. ولذا اختلفت التعاريف لهذا العلم بسبب اختلاف التوجهات. و نذكر هنا ثلاث اتجاهات في التعريف:-

الاتجاه الأول:- اتجاه يجعل حياة المسلمين هي الأساس الذي يدور عليه التعريف. وهو اتجاه التربويين.

الاتجاه الثاني: - اتجاه يجعل العلوم الإسلامية هي الأساس الذي يدور عليه التعريف، وبهذا تكون الثقافة الإسلامية مرادفة للدراسات أو العلوم الإسلامية أو التربية الإسلامية.

الاتجاه الثالث: - اتجاه يرى أن الثقافة الإسلامية هي علم جديد له موضوعاته الخاصة التي تميزه عن غيره من العلوم الإسلامية -كعلم العقيدة، والتفسير، والحديث، والفقه- وهو علم أو جدته الأحداث والدراسات المعاصرة.

وهنا نذكر تعريفاً واحداً فقط لكل اتجاه:

١) التعريف العام للثقافة الإسلامية:الذي يركز على حياة المسلمين.

قالوا: هو علم يبحث في مقومات الأمة الإسلامية العامة المتعلقة بماضيها وحاضرها، والتي تتكون من الدين الإسلامي واللغة العربية والتاريخ والحضارة وأنماط السلوك وأساليب الحياة المشتركة والمتنوعة بصورة واعية وهادفة.

وهذا التعريف يناسب كليات الدراسات الإسلامية بجامعات البلدان العربية والأجنبية.

ويركز هذا الجانب على دراسة حياة الأمة الإسلامية من جميع الجوانب، و العلامة التي تميزت بها عن سائر الأمم، والدور الذي اسهمت به في تاريخ الإنسانية.

٢) التعريف الخاص للثقافة الإسلامية ((الذي يركز على العلوم الإسلامية)):-

قالوا: هو علم يبحث في مقومات الدين الإسلامي وآثار تلك المقومات في الماضي والحاضر والمصادر التي أخذت منها هذه المقومات بصوره إجمالية مركزة.

وهذا التعريف يناسب الكليات والمعاهد العلمية والنظرية في جامعات البلدان العربية والإسلامية.

٣) التعريف المميز للثقافة الإسلامية ((الذي يستند على ان الثقافه الإسلامية علم جديد له موضوعاته الخاصه به)): -

قالوا: هو علم يبحث في المتغيرات والمستجدات والشبهات الماضية والحاضرة التي تتعلق بمقومات الأمة الإسلامية عامة ومقومات الدين الإسلامي خاصة بصورة مقنعة موجهة.

وهذا التعريف يناسب كليات الشريعه وأصول الدين والدراسات الإسلامية المتخصصة في جامعات الدول العربية والإسلامية.

ويقوم هذا العلم على دراسة التحديات المعاصرة التي تواجه المسلمين، وتقديم البحوث المعاصرة في التربية أو الصحة أو المجتمع أو السياسة أو الاقتصاد، كما يقوم بدراسة الشبهات التي يثيرها أرباب الغزو الفكري في الداخل والخارج فيما يتعلق بقضايا المرأة والأسرة وحقوق الإنسان، كما يقوم بدراسة التيارات الفكرية الحديثة مثل الاستشراق أو القاديانية أو العلمانية أو الوجودية..... الخ.

المسألة السادسة: أهداف الثقافة الإسلامية.

إن مقررات ومناهج الثقافة الإسلامية تعد من الأساسيات اللازمة لتكوين الشخصية المسلمة في هذا العصر بما تتضمنه من أهداف سامية تنطلق من رسالة الإسلام العظيمة وتتمثل فيما يلي:-

أولا:- إيضاح مبادئ الإسلام ومفاهيمه وقيمه وأخلاقه وأحكامه ونظمه بأسلوب علمي شمول،ي يؤدي إلى تحصين الاعتقاد الصحيح في مواجهة التيارات الفكرية الغازية، وبث روح الاعتزاز بالإسلام وأمجاد أمته، والثقة بسمو رسالته وتفرد حضارته.

ثانيا:- الإسهام في تجلية موقف الإسلام من قضايا العصر وبخاصة في مجالات العلوم المختلفة ونظم الحياة، والتوجيه العلمي لتحقيق مهمة القيام بوصل العلوم التجريبية الحديثة والإنسانية بجهود الإسلاف في تلك الميادين.

ثالثاً:- إعطاء صورة وافية عما صنعته رسالة الإسلام العامة الشاملة في الحياة الإنسانية؛ من تحريرها للبشر من الوثنيات والخرافات وإنقاذهم من التخلف الفكري والتفكك الاجتماعي والجدب الحضاري، ومن نصرتها على الصعيد العالمي لكل القيم الفاضلة من الحق والخير والعدل والسلام، ومن دعوتها لالتزام المنهج العلمي في اكتساب العلوم المعارف.

رابعاً:- كشف الشبهات التي يثيرها الأعداء حول العقيدة أو الشريعة بالحجة والبرهان مما يسهم في تحصين المتعلمين من تلك الشبهات.

تلك هي أهم أهداف وضرورات الثقافة الإسلامية، وفي عرضها ما يغني عن الحديث عن مدى أهمية مادة الثقافة الإسلامية للطالب الجامعي في أي تخصص كان.

المسألة السابعة: مصادر الثقافة الإسلامية.

أولا: القران الكريم.

تعريفه: القران الكريم هو كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود. وهو أفضل كتاب. تكلم به أفضل متكلم، وهو ربنا عز وجل، ونزل أ رسول ملكي وهو جبريل عليه السلام، على أفضل رسول بشري وهو محمد $ ، وفي أفضل ليلة وهي ليلة القدر، وفي أفضل شهر وهو شهر رمضان، وفي أفضل مكان وهو مكة المكرمة. وقد جعله الله عز وجل تبياناً لكل شيء، وهدى ونوراً وروحاً وشفاء من كل داء. وقد تولى الله حفظه فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

قال تعالى: **{فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً }(٥٩) آل عمران.** والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول $ هو الرد إلى سنته.

وقال تعالى ((فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى)). قال ابن عباس _ رضي الله عنهما _ تكفل الله لمن قرأ القران وعمل به ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة.

ثانياً: السنة النبوية:

ونعني بها هنا ما ثبت عن النبي _ $ _ من قول أو فعل أو تقرير أو صفه خُلقِيّه أو خَلَقيّه.

حجية السنة: السنة هي المصدر الثاني لتلقي العقيدة والشريعة والثقافة. وهي في الاحتجاج كالقران وقد دل القران الكريم على حجية السنة في آيات كثيرة منها قوله تعالى: **{وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}. (سورة الحشر الاية ٧).** وقوله تعالى: **{فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً}. (سورة النساءالآية:٦٥).** وقوله تعالى ((وأنزلنا إليك الذكرى لتبين للناس ما نزل إليهم)) وقول الرسول $ ((تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما كتاب الله وسنتي)).

منـزلة السنه من القران:

السنة تأتي مفسره للقران ومبينة لمجمله ومؤيده لأخباره وأحكامه وتأتي بأحكام جديدة لم ترد في القران.

ثالثاً ((التراث الاسلامي)):

ونعني به ماخلّفه علماء المسلمين من إجماع وقياس واجتهاد واستحسان ومصالح مرسلة في الفقه والتفسير والحديث، وما قاله اللغويون والنحويون و أهل البلاغة والبيان، وما جمعه المؤرخون من أخبار وسير، وما خلفته الأجيال من حضارة وفنون وعلوم.

§ **تنبيه:**

لابد من التنبه إلى أن مصادر الثقافة الإسلامية أوسع من مصادر التشريع الإسلامي لأن الثقافة تشمل العلوم الإنسانية والآداب والتراث الإسلامي، بينما التشريع له مصادره الخاصة به؛ وهي الكتاب والسنة والإجماع والقياس.

المسألة الثامنة: موقف المسلم من الثقافات الأخرى.

لا يشك عاقل في أن الثقافة الغربية قد امتدت لتشمل العالم كله، مدعومة بالقوة المادية والمعنوية، فما موقفنا من تلك الثقافة الزاحفة؟

الموقف الأول: الرفض المطلق.

فأصحاب هذا الموقف اتخذوا موقفاً سلبياً أمام الحضارة الغربية وكل منبثق عنها من مؤسسات ثقافية أو حضارية ويدعون إلى عدم الأخذ بشيء من أسباب هذه الحضارة لأنهم نظروا إلى سلبيات هذه الثقافة وما تحمله مفاسد، ولذا فهم يرفضونها ككل.

§ نقد هذا الموقف:-

هذا الموقف فيه سوء فهم لحقيقة الإسلام الذي يدعو إلى اقتباس الصالح المفيد و إعداد القوة.

ثم إن هذا الموقف يستحيل عملياً؛ فعلى كل من تبنى مثل هذا الموقف أن يكون قادراً على طرح البديل، وإلا سيخرج من التاريخ دون فاعلية تذكر.

الموقف الثاني: القبول المطلق.

فهناك من يدعو إلى التغريب والأخذ بكل أسباب الحضارة الغربية خيرها وشرها وحلوها ومرها، سواء ما يتعلق بالعلم والصناعة، أو ما يتعلق بالثقافة وأسلوب الحياة الروحية والعقلية واللغوية.

ويزعم أصحاب هذا الموقف أن الثقافة كل لا يتجزأ فإما أن تؤخذ كلها، أو تترك كلها.

وأكثر أصحاب هذا الموقف من الحداثيين والعلمانيين، كطه حسين ومحمد حسين هيكل ولطفي السيد ومن سار على طريقهم ممن يدعون إلى تمجيد الثقافة الغربية وإلى تبرج المرأة وسفورها ومساواتها بالرجل بدعوى تحرير المرأة، ويدعون إلى استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية، والدعوة إلى إحياء القوميات والشيوعية والاشتراكية والبعثية.

الموقف الثالث: موقف الموائمة.

فهناك من يحاول أن يوفق بين الثقافة الإسلامية والغربية، فيدعو إلى تقريب مبادئ الإسلام من الثقافة الغربية مع الميل إلى تبني الثقافة الغربية. فهو يعمل على تطوير الإسلام بشكل جديد بحجة أن مصالح المسلمين تتطلب هذا التطوير.

وهذا فيه إفساد للإسلام، وتشويه لقيمه ومفاهيمه الأصيلة، بإدخال الزيف على الصحيح، وإثبات الغريب الدخيل وتأكيده.

الموقف الرابع: القبول المقيد.

الذي يدعوا إلى احتفاظ المسلمين بإسلامهم على ما جاء في الكتاب والسنة، مع الاستفادة من الحضارة الغربية بما لا يتعارض مع الإسلام.

فهذا الموقف يميز بين الثقافة كمظهر تتميز به الأمة عن غيرها، وبين الحضارة والمدنية، فيدعوا هذا الموقف إلى إيجاد تيار قوي يواجه الحضارة الغربية بشجاعة وإيمان مترفع عن التقليد الأعمى.

وقد ثبت عملياً إمكان الجمع بين التفوق العلمي والحفاظ على الهوية والذاتية الإسلامية فها نحن نرى الأطباء المبدعين، والمهندسين المتميزين، والمتخصصين في جميع مجالات العلم في فنونه المختلفة يجمعون بين التفوق العلمي والالتزام الشرعي دون أن يدفعهم هذا التميز للتنكر لدينهم ووطنهم وذاتيتهم وهويتهم الإسلامية. ولقد تألق النموذج السعودي في هذا المجال والحمد لله.

من خصائص دين الإسلام

الإسلام دين الفطرة، ودين السلام والأمانِ، ولن تجد البشريةُ الراحة، ولن تحقق السعادة إلا بالأخذ بالإسلام، وتطبيقه في شتى شؤون الحياة.

ومما يؤكد عظمة دين الإسلام ما يتميز به من خصائص لا توجد في غيره من المذاهب والأديان.

ومن تلك الخصائص التي تثبت تَمَيُّزَ الإسلام، ومدى حاجة الناس إليه ما يلي:

١ / أنه جاء من عند الله. والله ـ عز وجل ـ أعلم بما يصلح عباده، قال تعالى: **{أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}** [الملك: ١٤].

٢ / أنه يبين بداية الإنسان ونهايته، والغاية التي خُلق من أجلها. قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً}** [النساء: ١]، وقال: **{مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى) [طه: ٥٥]، وقال: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}** [الذاريات: ٥٦].

٣ / أنه دين الفطرة: فلا يتنافى معها، قال تعالى: **{فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}**[الروم: ٣].

٤ / أنه يعتني بالعقل ويأمر بالتفكر: ويذم الجهل، والتقليد الأعمى، والغفلة عن التفكير السليم، قال تعالى: **{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ}**[الزمر: ٩]، وقال: **{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ}** [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١].

٥ / الإسلام عقيدة وشريعة: فهو كامل في عقيدته وشرائعه؛ فليس ديناً فكرياً فحسب، أو خاطرة تمر بالذهن، بل هو كامل في كل شيء، مشتمل على العقائد الصحيحة، والمعاملات الحكيمة، والأخلاق الجميلة، والسلوك المنضبط؛ فهو دين فرد وجماعة، ودين آخرة وأولى.

٦ / أنه يعتني بالعواطف الإنسانية: ويوجهها الوجهة الصحيحة التي تجعلها أداء خير وتعمير.

٧ / أنه دين العدل: سواء مع العدو، أو الصديق، أو القريب، أو البعيد، قال تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ}** [النحل: ٩٠]، وقال: **{وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى}**. [الأنعام: ١٥٢]، وقال: **{وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}** [المائدة: ٨].

٨ / الإسلام دين الأُخُوَّة الصادقة: فالمسلمون إِخْوةٌ في الدين، لا تفرقهم البلاد، ولا الجنس، ولا اللون، فلا طبقية في الإسلام، ولا عنصرية، ولا عصبية لجنس أو لون أو عِرق، ومعيارُ التفاضل في الإسلام إنما يكون بالتقوى.

٩ / الإسلام دين العلم: فالعلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، والعلم يرفع صاحبه إلى أعلى الدرجات، قال تعالى: **{يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}**. [المجادلة: ١١].

١٠ / أن الله تكفل لمن أخذ بالإسلام وطبَّقه بالسعادة، والعزة، والنصرة فرداً كان أم جماعة: قال تعالى: **{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً}**. [النور: ٥٥]، وقال: **{مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }** [النحل: ٩٧].

١١ / في الإسلام حل لجميع المشكلات: لاشتمال شريعته وأصولها على أحكام ما لا يتناهى من الوقائع.

١٢ / أن شريعته أحكم ما تساس به الأمم: وأصلح ما يقضى به عند التباس المصالح، أو التنازع في الحقوق.

١٣ / الإسلام دين صالح لكل زمان ومكان، وأمة وحال، بل لا تصلح الدنيا بغيره: ولهذا كلما تقدمت العصور، وترقت الأمم ظهر برهان جديد على صحة الإسلام، ورفعة شأنه.

١٤ / الإسلام دين المحبة، والاجتماع، والألفة، والرحمة. قال النبي $: " مَثَلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ".

وقال: " الراحمون يرحمهم الرحمن؛ ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ".

١٥ / الإسلام دين الحزم والجد والعمل: قال النبي $: " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، احرص على ما ينفعك ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قَدَرُ الله وما شاء فعل ".

١٦ / الإسلام أبعد ما يكون عن التناقض. قال تعالى: **{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً}** [النساء: ٨٢].

١٧ / أنه يحمي معتنقيه من الفوضى والضياع والتخبط: ويكفل لهم الراحة النفسية والفكرية.

١٨ / الإسلام واضح ميسور: وسهل الفهم لكل أحد.

١٩ / الإسلام دين مفتوح: لا يغلق في وجه من يريد الدخول فيه.

٢٠ / الإسلام يرتقي بالعقول، والعلوم، والنفوس، والأخلاق: فأهله المتمسكون به حق التمسك هم خير الناس، وأعقل الناس، وأزكى الناس.

٢١ / الإسلام يدعو إلى أحسن الأخلاق والأعمال: قال تعالى: **{خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ}**. [الأعراف: ١٩٩]، وقال: **{ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}** [فصلت: ٣٤].

٢٢ / الإسلام يحفظ العقول: ولهذا حرَّم الخمر، والمخدرات، وكل ما يؤدي إلى فساد العقل.

٢٣ / الإسلام يحفظ الأموال: ولهذا حثَّ على الأمانة، وأثنى على أهلها، ووعدهم بطيب العيش، ودخول الجنة، وحرَّم السرقة، وتوعد فاعلها بالعقوبة، وشرع حد السرقة وهو قطع يد السارق؛ حتى لا يتجرأ أحد على سرقة الأموال؛ فإذا لم يرتدع خوفاً من عقاب الآخرة، ارتدع خوفاً منن قطع اليد؛ ولهذا يعيش أهل البلاد التي تطبق حدود الشرع آمنين على أموالهم، بل إن قطع اليد قليل جداً؛ لقلة من يسرق.

ثم إن قطع يد السارق فيه حكمة الزجر للسارق من معاودة السرقة، وردع أمثاله عن الإقدام عليها، وهكذا تحفظ الأموال في الإسلام.

٢٤ / الإسلام يحفظ الأنفس: ولهذا حرَّم قتل النفس بغير الحق، وعاقب قاتل النفس بغير الحق بأن يقتل؛ ولأجل ذلك يقل القتل في بلاد المسلمين، التي تطبق شرع الله؛ فإذا علم الإنسان أنه إذا قَتَل شخصاً سيُقتل به كفَّ عن القتل، وارتاح الناس من شر المقاتلات.

٢٥ / الإسلام يحفظ الصحة. فالإشارات إلى هذا المعنى كثيرة جداً سواء في القرآن أو السنة النبوية، قال تعالى: **{وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}** [الأعراف: ٣١].

قال العلماء: إن هذه الآية جمعت الطبَّ كلَّه؛ ذلك أن الاعتدال في الأكل والشرب من أعظم أسباب حفظ الصحة.

ومن الإشارات لحفظ الصحة أن الإسلام حرَّم الخمر، ولا يخفى ما في الخمر من أضرار صحية كثيرة، فهي تضعف القلب، وتفري الكلى، وتمزق الكبد إلى غير ذلك من أضرارها المتنوعة.

ومن ذلك: أن الإسلام حرَّم الفواحش من زناً ولواط، ولا يخفى ما فيهما من الأضرار الكثيرة، ومنها الأضرار الصحية التي عُرِفَتْ أكثر ما عُرِفَتْ في هذا العصر من: زهري، وسيلان، وهربس، وإيدز ونحوها.

ومن حِفظ الإسلام للصحة أنه حرَّم لحم الخنزير، الذي عُرِفَ الآن أنه يولِّد في الجسم أدواءً كثيرة، ومن أخصِّها الدودة الوحيدة، والشعرة الحلزونية، وعملهما في الإنسان شديد، وكثيراً ما يكونان السبب في موته.

ومن الإشارات في هذا الصدد ما عُرف من أسرار الوضوء، وأنه يمنع من أمراض الأسنان، والأنف، بل هو من أهم الموانع للسل الرئوي؛ إذ قال بعض الأطباء: إن أهم طريق لهذا المرض الفتاك هو الأنف، وإن أنوفاً تُغسَلُ في اليوم خمس عشرة مرة لجديرة بألا تبقى فيها جراثيم هذا الداء الوبيل، ولذا كان هذا المرض في المسلمين قليلاً وفي الإفرنج كثيراً.

والسبب أن المسلمين يتوضؤون للصلاة خمس مرات في اليوم، وفي كل وضوء يغسل المسلم أنفه مرة أو مرتين أو ثلاثاً.

٢٦ / الإسلام يتفق مع الحقائق العلمية. ولهذا لا يمكن أن تتعارض الحقائق العلمية الصحيحة مع النصوص الشرعية الصريحة.

وإذا ظهر في الواقع ما ظاهره المعارضة فإما أن يكون الواقع مجرد دعوى لا حقيقة لها، وإما أن يكون النص غير صريح في معارضته؛ لأن النص وحقائق العلم كلاهما قطعي، ولا يمكن تعارض القطعيين.

ولقد قرر هذه القاعدة كثير من علماء المسلمين، بل لقد قررها كثير من الكُتَّاب الغربيين المنصفين، ومنهم: الكاتب الفرنسي المشهور (موريس بوكاي) في كتابه (التوراة والإنجيل والقرآن)، حيث بيَّن في هذا الكتاب أن التوراة المحرَّفة، والإنجيل المحرَّف الموجودين اليوم يتعارضان مع الحقائق العلمية، في الوقت الذي سجل فيه هذا الكتاب شهادات تفوق للقرآن الكريم سبق بها القرآنُ العلمَ الحديثَ.

وأثبت الكاتب من خلال ذلك أن القرآن لا يتعارض أبداً مع الحقائق العلمية، بل إنه يتفق معها تمام الاتفاق.

ولقد تضافرت البراهين الحسيَّة، والعلميَّة، والتجريبيَّة على صدْق ما جاء به الإسلام حتى في أشد المسائل بُعداً عن المحسوس، وأعظمها إنكاراً في العصور السابقة.

خذ على سبيل قول النبي $: " إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً أُولاهنَّ بالتراب ".

ولقد جاء الطب باكتشافاته ومكبراته فأثبت أن في لعاب الكلب ميكروباتٍ وأمراضاً فتَّاكة لا يزيلها الماء وحده، وأظهرت البحوث العلمية الحديثة أنه يحصل من إنقاء التراب لهذه النجاسة ما لا يحصل بغيره.

وجاء ـ أيضاً ـ أن شرب الكلب في الإناء يسبب أمراضاً خطيرة، فالكلب كثيراً ما تكون فيه ديدان مختلفة الأنواع، ومنها: دودة شريطية صغيرة جداً، فإذا شرب في إناء، أو لمس إنسان جسد الكلب بيده أو بلباسه انتقلت بويضات هذه الديدان إليه، ووصلت إلى معدته في أكله، أو شربه، فتثقب جدرانها، وتصل إلى أوعية الدم، وتصل إلى الأعضاء الرئيسة، فتصيب الكبد، وتصيب المخ، فينشأ عنه صداع شديد، وقيءٌ متوالٍ، وفقد للشعور، وتشنجات، وشلل في بعض الأعضاء، وتصيب القلب، فربما مزَّقته، فيموت الشخص في الحال.

ثم إن العلوم الطبيعية تؤيد الإسلام، وتؤكد صحته على غير علم من ذويها.

مثال ذلك: تلقيح الأشجار الذي لم يُكتَشف إلا منذ عهد قريب، وقد نصَّ عليه القرآن الذي أُنزل على النبي الأمي منذ أربعة عشر قرناً في قوله تعالى: **{وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ}** [الحجر: ٢٢]، وكذلك قوله تعالى: **{وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}**[ق: ٧]، وقوله: **{وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}** [الذاريات: ٤٩]، وقوله: **{سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا}** [يس: ٣٦].

فهذا كلام رب العالمين في القرآن قبل أن تبيَّن لنا العلوم الطبيعية أن في كل نبات ذكراً وأنثى.

ولقد اعتنق بعض الأوربيين الإسلام لما وجد وصف القرآن للبحر وصفاً شافياً مع كون النبي ـ $ ـ لم يركب البحر طول عمره، وذلك مثل قوله تعالى: **{أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا}** [النور: ٤٠].

٢٧ / الإسلام يكفل الحريات ويضبطها. فحرية التفكير في الإسلام مكفولة، وقد منح الله الإنسان الحواس من السمع، والبصر، والفؤاد؛ ليفكر، ويعقل، ويصل إلى الحق، وهو مأمور بالتفكير الجاد السليم، ومسؤول عن إهمال حواسه وتعطيلها، كما أنه مسؤول عن استخدامها فيما يضر.

والإنسان في الإسلام حُرٌّ في بيعه، وشرائه، وتجارته، وتنقلاته، ونحو ذلك ما لم يتعد حدود الله في غش، أو خداع، أو إفساد.

والإنسان في الإسلام حُرٌّ في الاستمتاع بطيبات الحياة الدنيا من: مأكول، أو مشروب، أو مشموم، أو ملبوس، ما لم يرتكب محرماً يعود عليه أو على غيره بالضرر.

ثم إن الإسلام يضبط الحريات؛ فلا يجعلها مطلقة سائمة في مراتع البغي والتعدي على حريات الآخرين؛ فالشهوة على سبيل المثال لو أطلقت لا ندفع الإنسان وراء شهوته، التي تكون سبباً في هلاكه؛ لأن طاقته محدودة، فإذا استُنفِذت في اللهو والعبث والمجون ـ لم يبق فيها ما يدفعها إلى الطريق الجاد، ويدلها على مسالك الخير؛ فليس من الحرية ـ إذاً ـ أن يسترسل في شهواته وملذاته غير مبالٍ بحلال أو حرام، وغير ناظر في العواقب.

إن نهايته ستكون وخيمة في العاجل قبل الآجل؛ إن ثرواته ستتبدد، وإن قواه ستنهار، وصحته ستزول، وبالتالي سيكون تعيساً محسوراً.

ثم هب أن الإنسان أطلق لشهواته العنان، هل سيجد الراحة والطمأنينة ؟

الجواب: لا؛ وإذا أردت الدليل على ذلك فانظر إلى عالمنا المعاصر بحضارته المادية؛ لما أطلق حرية العبث والمجون، و لم يُحسن استخدامها ـ حدثت القلاقل، والمصائب، والأمراض الجسدية والنفسية، وشاع القتل، والنهب، والسلب، والانتحار، والقلق، وأمراض الشذوذ.

وليست الحرية ـ أيضاً ـ بالسير وراء الأطماع التي لا تقف عند حد دونما مبالاة في آثارها على الآخرين؛ فهل يعد من الحرية ما يقوم به الأقوياء من سطو على الضعفاء، واستخفاف بحقوقهم، ومصادرة لآرائهم كما هي حال الدول الكبرى في عالمنا المعاصر؟

الجواب: لا؛ فالحرية الحقة هي ما جاء به الإسلام، وهي الحرية المنضبطة التي تحكم تصرفات الإنسان، والتي يكون فيها الإنسان عبداً لربه وخالقه؛ فذلك سر الحرية الأعظم؛ فالإنسان إذا تعلق بربه خوفاً، وطمعاً، وحباً، ورجاء، وذلاً، وخضوعاً ـ تحرر من جميع المخلوقين؛ و لم يعد يخاف أحداً غير ربه، ولا يرجو سواه، وذلك عين فلاحه وعزته.

وبالجملة، فالإسلام دين الكمال والرفعة، ودين الهداية والسمو.

وإذا رأينا من بعض المنتمين إليه وَهَناً في العزم، أو بُعداً عن الهدى ـ فالتبعة تعود على أولئك، لا على الدين؛ فالدين براء، والتبعة تقع على من جهل الإسلام، أو نبذ هدايته وراء ظهره.

القسم الثالث: أسس العقيدة الإسلامية.

١/ **تعريف العقيدة في الاصطلاح العام:** هي الإيمان الجازم، والحكم القاطع الذي لا يتطرق إليه شك، وهي ما يؤمن به الإنسان، ويعقد عليه ضميره، ويتخذه مذهباً وديناً، بغضِّ النظر عن صحته من عدمها.

٢ / تعريف العقيدة الإسلامية: هي الإيمان الجازم بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاء في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة من أصول الدين، وأموره، وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله ـ تعالى ـ في الحكم، والأمر، والقدر، والشرع، ولرسوله ـ $ ـ بالطاعة والتحكيم والاتباع.

٣/ أهمية العقيدة الإسلامية.

١) العقيدة هي أساس بناء المجتمعات، فإذا كانت سليمة انضبط المجتمع وارتقى إلى الكمال الإنساني، وإن كانت منحرفة تفكك المجتمع وانحط إلى الحضيض.

٢) العقيدة هي التي تسيّر أصحابها وتدفعهم إلى العمل؛ فإذا كانت سليمة دفعتهم إلى العمل الصالح، والعكس بالعكس فإذا كانت منحرفة دفعتهم إلى العمل السيئ.

٣) العقيدة هي التي توجه سلوك الفرد؛ فإن كانت سليمة وجهت سلوكه إلى الاستقامة، وإن كانت منحرفة وجهت سلوكه إلى الانحراف. وقد دلت التجارب على أن سلوك الفرد يتناسب مع صلاح عقيدته وسلامة أفكاره. وفساد سلوكه يتناسب مع فساد عقيدته وتضارب أفكاره وانحرافها.

٤) العقيدة الصحيحة هي التي تعصم الدم والمال وتصحح جميع الأعمال. والعقيدة المنحرفة تهدر الدم والمال وتفسد جميع الأعمال.

ومن ثمّ اتجهت جهود الأنبياء والمرسلين إلى تصحيح عقائد الناس أولاً وقبل كل شيء، ومن ثمّ يجب على الدعاة إلى الله والمصلحين الاهتمام بإصلاح المجتمعات من الشرك والبدع والخرافات والوثنيات والعوائد الجاهلية.

٤/ أسس العقيدة الإسلامية.

أسس العقيدة الإسلامية: هي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

وقد دل على هذه الأسس كتاب الله وسنة رسوله $.

ففي كتاب الله تعالى يقول الله تعالى: **(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين)**. وقال تعالى في القدر: **(إنا كل شيء خلقناه بقدر)**.

وفي السنة قال عليه الصلاة والسلام مجيباً لجبريل حين سأله عن الإيمان: "الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره". رواه مسلم. وكل ركن من هذه الأركان يتضمن أموراً كثيرة لا يتم الإيمان إلا بها، وهي كما يلي:

الركن الأول: الإيمان بالله تعالى: والإيمان بالله يتضمن أربعة أمور لا يتم إيمان العبد إلا بها، وهي:

الأول: الإيمان بوجود الله تعالى:

وقد دل على وجوده تعالى: الفطرة، والعقل، والشرع، والحس.

١- **أما دلالة الفطرة على وجوده:** فإن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها لقول النبي $:(ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجساته). رواه البخاري.

٢- **وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى:** فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لابد لها من خالق أوجدها إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، ولا يمكن أن توجد صدفة.

لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها **لأن** الشيء لا يخلق نفسه، لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقاً؟

ولا يمكن أن توجد صدفة، **لأن** كل حادث لابد له من محدث، **ولأن** وجودها على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعاً باتاً أن يكون وجودها صدفة، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره؟

وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها، ولا أن توجد صدفة تعيّن أن يكون لها موجد وهو الله رب العالمين.

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي في سورة الطور، حيث قال: **(أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون).** يعني أنهم لم يخلقوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم، فتعين أن يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى، ولهذا لما سمع جبير بن مطعم ـ رضي الله عنه- رسول الله - $ - يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات: **(أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون. أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون. أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون).** وكان جبير يومئذ مشركاً قال: (كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي) رواه البخاري مفرقاً.

ولنضرب مثلاً يوضح ذلك، فإنه لو حدّثك شخص عن قصر مشيد، أحاطت به الحدائق، وجرت بينها الأنهار، ومليء بالفرش والأسرة، وزين بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته، وقال لك: إن هذا القصر وما فيه من كمال قد أوجد نفسه، أو وجد هكذا صدفة بدون موجد، لبادرت إلى إنكار ذلك وتكذيبه، وعددت حديثه سفهاً من القول، أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه، وسمائه، وأفلاكه، وأحواله، ونظامه البديع الباهر، قد أوجد نفسه، أو وجد صدفة بدون موجد؟!

٣- **وأما دلالة الشرع على وجود الله تعالى:** فلأن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك، وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به.

٤ - **و أما أدلة الحس على وجود الله** فمن وجهين:

أحدهما: أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين، وغوث المكروبين، ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى، قال الله تعالى: **(ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له)**. وقال تعالى: **(إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم)**. وفي صحيح البخاري عن ـ أنس بن مالك ـ رضي الله عنه: "أن أعرابياً دخل يوم الجمعة والنبي - $ - يخطب، فقال: "يا رسول الله، هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا" فرفع يديه ودعا فثار السحاب أمثال الجبال فلم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته. وفي الجمعة الثانية قام ذلك الأعرابي أو غيره فقال: "يا رسول الله تهدم البناء، وغرق المال، فادع الله لنا " فرفع يديه وقال: "اللهم حوالينا ولا علينا " فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت".

وما زالت إجابة الداعين أمراً مشهوداً إلى يومنا هذا لمن صدق اللجوء إلى الله تعالى وأتى بشرائط الإجابة.

الوجه الثاني: أن آيات الأنبياء التي تسمى المعجزات، ويشاهدها الناس، أو يسمعون بها، برهان قاطع على وجود مرسلهم، وهو الله تعالى، لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تعالى، تأييداً لرسله ونصراً لهم.

مثال ذلك: آية موسى (عليه السلام) حين أمره الله تعالى أن يضرب بعصاه البحر، فضربه فانفلق اثني عشر طريقاً يابساً، والماء بينها كالجبال، قال الله تعالى: **(فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم)**.

ومثال ثان: آية عيسى -عليه السلام- حيث كان يحيي الموتى، ويخرجهم من قبورهم بإذن الله، قال الله تعالى عنه: **(وأحيي الموتى بإذن الله)**، وقال تعالى: **(وإذ تخرج الموتى بإذني)**.

ومثال ثالث لمحمد - $ - حين طلبت منه قريش آية، فأشار إلى القمر فانفلق فرقتين فرآه الناس، وفي ذلك قوله تعالى: **(اقتربت الساعة وانشق القمر. وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر)**.

فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى تأييداً لرسله، ونصراً لهم، تدل دلالة قطعية على وجوده تعالى.

الثاني: الإيمان بربوبيته. أي بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين.

والرب: من له الخلق، والملك، والأمر، فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا هو، ولا أمر إلا له، قال تعالى: **(ألا له الخلق والأمر)** وقال: **(ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير)**.

و لم يعلم أن أحداً من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه، إلا أن يكون مكابراً غير معتقد بما يقول، كما حصل من فرعون حين قال لقومه: **(أنا ربكم الأعلى)**. وقال: **(يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري)**. لكن ذلك ليس عن عقيدة. قال الله تعالى: **(وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً)**. وقال موسى لفرعون فيما حكى الله عنه: **(لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً)**.

ولهذا كان المشركون يقرون بربوبية الله تعالى، مع إشراكهم به في الألوهية، قال الله تعالى: **(قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون.سيقولون لله قل أفلا تذكرون. قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم.سيقولون لله قل**

أفلا تتقون. قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون. سيقولون لله قل فأنى تسحرون).

وقال الله تعالى:**(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم). وقال: (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون).**

وأمر الرب سبحانه شامل **للأمر الكوني والشرعي** فكما أنه مدبر الكون القاضي فيه بما يريد حسب ما تقتضيه حكمته، فهو كذلك الحاكم فيه بشرع العبادات وأحكام المعاملات حسبما تقتضيه حكمته، فمن اتخذ مع الله تعالى مشرعاً في العبادات، أو حاكماً في المعاملات فقد أشرك به و لم يحقق الإيمان.

الثالث: الإيمان بألوهيته: أي بأنه وحده الإله الحق لا شريك له. و "الإله" بمعنى "المألوه" أي "المعبود" حباً وتعظيماً، قال الله تعالى: **(وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم).** وقال تعالى: **(شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم).** وكل ما اتخذ إلهاً مع الله يعبد من دونه فألوهيته باطلة، قال الله تعالى: **(ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير).** وتسميتها آلهة لا يعطيها حق الألوهية قال الله تعالى في (اللات والعزى ومناة): **(إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان).** وقال عن هود: إنه قال لقومه: **(أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان).** وقال عن يوسف إنه قال لصاحبي السجن: **(أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار. ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان).** ولهذا كانت الرسل عليهم الصلاة والسلام يقولون لأقوامهم: **(اعبدوا الله ما لكم من إله غيره).** ولكن أبى ذلك المشركون، واتخذوا من دون الله آلهة، يعبدونهم مع الله سبحانه وتعالى، ويستنصرون بهم ويستغيثون.

وقد أبطل الله تعالى اتخاذ المشركين هذه الآلهة ببرهانين عقليين:

الأول: أنه ليس في هذه الآلهة التي اتخذوها شيء من خصائص الألوهية، فهي مخلوقة لا تخلق، ولا تجلب نفعاً لعابديها، ولا تدفع عنهم ضرراً، ولا تملك لهم حياة، ولا موتاً، ولا يملكون شيئاً من السموات ولا يشاركون فيه.

قال الله تعالى: **(واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً).**

وقال تعالى: **(قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير. ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له).** وقال: **(أيشركون مالا يخلق شيئاً وهم يخلقون. ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون).**

وإذا كانت هذه حال تلك الآلهة فإن اتخاذها آلهة من أسفه السفه وأبطل الباطل.

والثاني: أن هؤلاء المشركين كانوا يقرون بأن الله تعالى وحده الرب الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير ولا يجار عليه، وهذا يستلزم أن يوحدوه بالألوهية كما وحدوه بالربوبية كما قال تعالى: **(يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون. الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون).** وقال: **(ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون).** وقال: **(قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون. فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون).**

الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته.

أي (إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو سنة رسوله - $ - من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل) قال الله تعالى: **(ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون).** وقال: **(وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم).** وقال: **(ليس كمثله شي وهو السميع البصير).**

وقد ضل في هذا الأمر طائفتان:

إحداهما: (المعطلة) الذين أنكروا الأسماء، والصفات، أو بعضها، زاعمين أن إثباتها لله يستلزم التشبيه، أي تشبيه الله تعالى بخلقه، وهذا الزعم باطل لوجوه منها:

الأول: أنه يستلزم لوازم باطلة كالتناقض في كلام الله سبحانه، وذلك أن الله تعالى أثبت لنفسه الأسماء، والصفات، ونفى أن يكون كمثله شيء، ولو كان إثباتها يستلزم التشبيه لزم التناقض في كلام الله وتكذيب بعضه بعضاً.

الثاني: أنه لا يلزم من اتفاق الشيئين في اسم أو صفة أن يكونا متماثلين، فأنت ترى الشخصين يتفقان في أن كلا منهما إنسان سميع، بصير، متكلم، ولا يلزم من ذلك أن يتماثلا في المعاني الإنسانية، والسمع، والبصر، والكلام. وترى الحيوانات لها أيد وأرجل، وأعين، ولا يلزم من اتفاقها هذا أن تكون أيديها وأرجلها، وأعينها متماثلة.

فإذا ظهر التباين بين المخلوقات فيما تتفق فيه من أسماء، أو صفات، فالتباين بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم.

الطائفة الثانية: (المشبهة) الذين أثبتوا الأسماء والصفات مع تشبيه الله تعالى بخلقه زاعمين أن هذا مقتضى دلالة النصوص، لأن الله تعالى يخاطب العباد بما يفهمون وهذا الزعم باطل لوجوه منها:

الأول: أن مشابهة الله تعالى لخلقه أمر باطل يبطله العقل، والشرع، ولا يمكن أن يكون مقتضى نصوص الكتاب والسنة أمراً باطلاً.

الثاني: أن الله تعالى خاطب العباد بما يفهمون من حيث أصل المعنى، أما الحقيقة والكنه الذي عليه ذلك المعنى فهو مما استأثر الله تعالى بعلمه فيما يتعلق بذاته، وصفاته.

فإذا أثبت الله لنفسه أنه سميع، فإن السمع معلوم من حيث أصل المعنى (وهو إدراك الأصوات) لكن حقيقة ذلك بالنسبة إلى سمع الله تعالى غير معلومة، لأن حقيقة السمع تتباين حتى في المخلوقات، فالتباين فيها بين الخالق والمخلوق، أبين وأعظم.

وإذا أخبر الله تعالى عن نفسه أنه استوى على عرشه فإن الاستواء من حيث أصل المعنى معلوم، لكن حقيقة الاستواء التي هو عليها غير معلومة بالنسبة إلى استواء الله على عرشه، لأن حقيقة الاستواء تتباين في حق المخلوق، فليس الاستواء على كرسي مستقر كالاستواء على رحل بعير صعب نفور، فإذا تباينت في حق المخلوق، فالتباين فيها بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم.

والإيمان بالله تعالى على ما وصفنا يثمر للمؤمنين ثمرات جليلة منها:

الأولى: تحقيق توحيد الله تعالى بحيث لا يتعلق بغيره رجاء، ولا خوف، ولا يعبد غيره.

الثانية: كمال محبة الله تعالى، وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العليا.

الثالثة: تحقيق عبادته بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه.

الركن الثاني: الإيمان بالملائكة.

١) **تعريف الملائكة:** الملائكة: (عالم غيبي مخلوقون، عابدون لله تعالى، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم الله تعالى من نور، ومنحهم الانقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه).

قال الله تعالى: **(ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون.يسبحون الليل والنهار لا يفترون).**

وهم عدد كثير لا يحصيهم إلا الله تعالى، وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه في قصة المعراج أن النبي - $ - رفع له البيت المعمور في السماء يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم.

٢) الإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجودهم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه (كجبريل) ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالاً.

الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة (جبريل) فقد أخبر النبي - $ - أنه رآه على صفته التي خلق عليها وله ستمائة جناح قد سد الأفق.

وقد يتحول الملك بأمر الله تعالى إلى هيئة رجل، كما حصل (لجبريل) حين أرسله تعالى إلى ـ مريم ـ فتمثل لها بشراً سوياً، وحين جاء إلى النبي - $ - وهو جالس في أصحابه جاءه بصفة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه أحد من الصحابة، فجلس إلى النبي - $ - فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه

على فخذيه، وسأل النبي - $ - عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة، وأماراتها، فأجابه النبي $ فأنطلق. ثم قال $:"هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم". رواه مسلم.

وكذلك الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى إلى إبراهيم، ولوط كانوا في صورة رجال.

الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى، كتسبيحه، والتعبد له ليلاً ونهاراً بدون ملل ولا فتور.

وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة.

مثل: جبريل الأمين على وحي الله تعالى يرسله الله به إلى الأنبياء والرسل.

ومثل: ميكائيل الموكل بالقطر أي بالمطر والنبات.

ومثل إسرافيل: الموكل بالنفخ في الصور عند قيام الساعة وبعث الخلق.

ومثل: ملك الموت الموكل بقبض الأرواح عند الموت.

ومثل: مالك الموكل بالنار وهو خازن النار.

ومثل: الملائكة الموكلين بالأجنة في الأرحام إذا تم للإنسان أربعة اشهر في بطن أمه، بعث الله إليه ملكاً وأمره بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد.

ومثل: الملائكة الموكلين بحفظ أعمال بني آدم وكتابتها لكل شخص، وهما ملكان: أحدهما عن اليمين والثاني عن الشمال.

ومثل: الملائكة الموكلين بسؤال الميت إذا وضع في قبره يأتيه ملكان يسألانه عن ربه، ودينه، ونبيه.

٣) الإيمان بالملائكة يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم بعظمة الله تعالى، وقوته، وسلطانه، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.

الثانية: شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم، حيث وكل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.

الثالثة: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى.

٤) وقد أنكر قوم من الزائغين كون الملائكة أجساماً، وقالوا: إنهم عبارة عن قوى الخير الكامنة في المخلوقات، وهذا تكذيب لكتاب الله تعالى، وسنة رسوله $ ، وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: **(الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع).**

وقال: **(ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم).**

وقال:**(ولوترى إذ الطالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم).**

وقال: **(حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير).**

وقال في أهل الجنة: **(والملائكة يدخلون عليهم من كل باب.سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار).**

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي - $ - قال: (إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء، إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض).

وفيه أيضاً عنه قال: قال النبي $: (إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد الملائكة يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف، وجاؤوا يستمعون الذكر).

وهذه النصوص صريحة في أن الملائكة أجسام لا قوى معنوية، كما قال الزائغون وعلى مقتضى هذه النصوص أجمع المسلمون.

الركن الثالث: الإيمان بالكتب.

١) **تعريف الكتب.** الكتب: جمع كتاب، بمعنى مكتوب.

والمراد بها هنا: الكتب التي أنزلها تعالى على رسله رحمة للخلق، وهداية لهم، ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة.

٢) الإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن نزولها من عند الله حقاً.

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه كالقرآن الذي نزل على محمد $ ، والتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام، والإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام، والزبور الذي أوتيه داود عليه السلام، وأما ما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً.

الثالث: تصديق ما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.

الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا والتسليم به سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم قال الله تعالى: **(وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه).**

أي :حاكماً عليه، وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها وأقره القرآن.

٣) الإيمان بالكتب يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم بعناية الله تعالى بعباده حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به.

الثانية: العلم بحكمة الله تعالى في شرعه حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم. كما قال الله تعالى: **(لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً).**

الثالثة: شكر نعمة الله في ذلك.

الركن الرابع: الإيمان بالرسل.

١) **تعريف الرسل:** الرسل جمع رسول، بمعنى مرسل، أي مبعوث بإبلاغ شيء.

والمراد هنا: مَنْ أوحي إليه من البشر بشرع وأمر بتبليغه.

وأول الرسل نوح، وآخرهم محمد $.

قال الله تعالى: **(إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده).**

وفي صحيح البخاري عن ـ أنس بن مالك ـ رضي الله عنه في (حديث الشفاعة أن النبي $ (ذكر أن الناس يأتون إلى آدم ليشفع لهم فيعتذر إليهم ويقول: ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله) وذكر تمام الحديث.

وقال تعالى في محمد $: **(ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين).**

و لم تخل أمة من رسول يبعثه الله تعالى بشريعة مستقلة إلى قومه. أو نبي يوحى إليه بشريعة من قبله ليجددها، قال الله تعالى: **(ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت).**

وقال تعالى: **(وإن من أمة إلا خلا فيها نذير).**وقال تعالى: **(إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا).**

والرسل بشر مخلوقون ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، قال الله تعالى عن نبيه محمد $ وهو سيد الرسل وأعظمهم جاهاً عند الله: **(قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون).**

وقال تعالى: **(قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً. قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً).**

وتلحقهم خصائص البشرية من المرض، والموت، والحاجة إلى الطعام والشراب، وغير ذلك، قال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام في وصفه لربه تعالى: **(والذي هو يطعمني ويسقين. وإذا مرضت فهو يشفين. والذي يميتني ثم يحيين).**

وقال النبي $: "إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني".

وقد وصفهم الله تعالى بالعبودية له في أعلى مقاماتهم، وفي سياق الثناء عليهم فقال تعالى في نوح عليه السلام: **(إنه كان عبداً شكوراً).** وقال في محمد $: **(تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً).** وقال في إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب عليهم السلام: **(واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار. إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار. وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار).**

وقال في عيسى بن مريم عليه السلام: **(إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل).**

٢) الإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع. كما قال الله تعالى: **(كذبت قوم نوح المرسلين).** فجعلهم الله مكذبين لجميع الرسل، مع أنه لم يكن رسول غيره حين كذبوه، وعلى هذا فالنصارى الذين كذبوا محمداً - $ - و لم يتبعوه هم مكذبون للمسيح بن مريم غير متبعين له أيضاً، لا سيما وأنه قد

بشرهم بمحمد - $ - ولا معنى لبشارتهم به إلا أنه رسول إليهم ينقذهم الله به من الضلالة، ويهديهم إلى صراط مستقيم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه مثل: محمد وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح عليهم الصلاة والسلام، وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل، وقد ذكرهم الله تعالى في موضعين من القرآن: في سورة الأحزاب في قوله:**(وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم)**. وفي سورة الشورى في قوله: **(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)**.

وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً قال الله تعالى: **(ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك)**.

الثالث: تصديق ما صح عنهم من أخبارهم.

الرابع: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد - $ - المرسل إلى جميع الناس قال الله تعالى: **(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً)**.

٣) للإيمان بالرسل ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم برحمة الله تعالى وعنايته بعباده حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله تعالى، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله، لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك.

الثانية: شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى.

الثالثة: محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم، والثناء عليهم بما يليق بهم، لأنهم رسل الله تعالى، ولأنهم قاموا بعبادته، وتبليغ رسالته، والنصح لعباده.

٤) وقد كذب المعاندون رسلهم زاعمين أن رسل الله تعالى لا يكونون من البشر! وقد ذكر الله تعالى هذا الزعم وأبطله بقوله: **(وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً. قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً)**. فأبطل الله تعالى هذا الزعم بأنه لابد أن يكون الرسول بشراً لأنه مرسل إلى أهل الأرض، وهم بشر، ولو كان أهل الأرض ملائكة لنزل الله عليهم من السماء ملكاً رسولاً، ليكون مثلهم، وهكذا حكى الله تعالى عن المكذبين للرسل أنهم قالوا: **(إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عن ما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين. قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمنّ على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله)**.

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر.

١) **تعريفه: اليوم الآخر:** يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء.

وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم.

٢) الإيمان باليوم الآخر يتضمن أموراً كثيرة. منها:

الأول: الإيمان بالبعث: وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة غير منتعلين، عراة غير مستترين، غرلاً غير مختتنين، قال الله تعالى: **(كما بدأنا أول خلقٍ نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين).**

والبعث: حق ثابت دل عليه الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: **(ثم إنكم بعد ذلك لميتون. ثم إنكم يوم القيامة تبعثون).**

وقال النبي $: (يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً). متفق عليه.

وأجمع المسلمون على ثبوته، وهو مقتضى الحكمة حيث تقتضي أن يجعل الله تعالى لهذه الخليقة معاداً يجازيهم فيه على ما كلفهم به على ألسنة رسله قال الله تعالى: **(أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون).** وقال لنبيه $: **(إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد).**

الثاني: الإيمان بالحساب والجزاء: يحاسب العبد على عمله، ويجازى عليه، وقد دل على ذلك الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: **(إن إلينا إيابهم. ثم إن علينا حسابهم).** وقال تعالى: **(من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون).** وقال تعالى: **(ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين).**

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي - $ - قال: "إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى أنه قد هلك قال: قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق **(هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين).** متفق عليه.

وصح عن النبي $: (أن من هم بحسنة فعملها، كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وأن من هم بسيئة فعملها، كتبها الله سيئة واحدة".

وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال، وهو مقتضى الحكمة فإن الله تعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وفرض على العباد قبول ما جاؤوا به، والعمل بما يجب العمل به منه وأوجب قتال المعارضين له وأحل دماءهم، وذرياتهم، ونساءهم، وأموالهم. فلو لم يكن حساب، ولا جزاء لكان هذا من العبث الذي ينزه الرب الحكيم عنه، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: **(فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين. فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين).**

الثالث: الإيمان بالجنة والنار: وأنهما المآل الأبدي للخلق. فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين، الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله، مخلصين لله متبعين لرسوله. فيها من أنواع النعيم "مالا عين رأت، ولا إذاً سمعت، ولا خطر على قلب بشر". قال الله تعالى: **(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدنٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه)** وقال تعالى: **(فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون).**

وأما النار فهي دار العذاب التي أعدها الله تعالى للكافرين الظالمين، الذين كفروا به وعصوا رسله، فيها من أنواع العذاب، والنكال مالا يخطر على البال قال الله تعالى: **(واتقوا النار التي أعدت للكافرين).** وقال تعالى: **(إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً).** وقال تعالى: **(إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً. خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً. يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا).**

ويلتحق بالإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما يكون بعد الموت مثل:

(أ) فتنة القبر: وهي سؤال الميت بعد دفنه عن ربه، ودينه، ونبيه، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد $. ويضل الله الظالمين فيقول الكافر هاه، هاه، لا أدري. ويقول المنافق أو المرتاب: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.

(ب) عذاب القبر ونعيمه: فيكون عذاب القبر للظالمين من المنافقين والكافرين، قال الله تعالى: **(ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون).**

وقال تعالى في آل فرعون: **(النار يعرضون عليها غدوّاً وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب).**

وفي صحيح مسلم من حديث زيد بن ثابت عن النبي $ قال: "فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه، ثم أقبل بوجهه فقال: تعوذوا بالله من عذاب النار. قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار. فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر. قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر. قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال. قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال".

وأما نعيم القبر فللمؤمنين الصادقين قال الله تعالى: **(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون).**

وقال تعالى: **(فلولا إذا بلغت الحلقوم. وأنتم حينئذ تنظرون. ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا إن كنتم غير مدينين. ترجعونها إن كنتم صادقين. فأما إن كان من المقربين. فروح وريحان وجنة نعيم).** إلى آخر السورة.

وعن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ أن النبي $ قال في المؤمن إذا أجاب الملكين في قبره: "ينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره" رواه أحمد وأبو داود في حديث طويل.

٣) للإيمان باليوم الآخر ثمرات جليلة منها:

الأولى: الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها رجاء لثواب ذلك اليوم.

الثانية: الرهبة من فعل المعصية والرضا بها خوفاً من عقاب ذلك اليوم.

الثالثة: تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

٤) وقد أنكر الكافرون البعث بعد الموت زاعمين أن ذلك غير ممكن.

وهذا الزعم باطل دل على بطلانه الشرع، والحس، والعقل.

أما من الشرع: فقد قال الله تعالى: **(زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير).** وقد اتفقت جميع الكتب السماوية عليه.

وأما الحس: فقد أرى الله عباده إحياء الموتى في هذه الدنيا، وفي سورة البقرة، خمسة أمثلة على ذلك وهي:

المثال الأول: قوم موسى حين قالوا له:**(لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة).** فأماتهم الله تعالى، ثم أحياهم وفي ذلك يقول الله تعالى مخاطباً بني إسرائيل: **(وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون.ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون).**

المثال الثاني: في قصة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل، فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها ليخبرهم بمن قتله، وفي ذلك يقول الله تعالى: **(وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون. فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون).**

المثال الثالث: في قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الموت وهم ألوف فأماتهم الله تعالى، ثم أحياهم وفي ذلك يقول الله تعالى: **(ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون).**

المثال الرابع: في قصة الذي مر على قرية ميتة فاستبعد أن يحييها الله تعالى، فأماته الله تعالى مائة سنة، ثم أحياه وفي ذلك يقول الله تعالى: **(أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير).**

المثال الخامس: في قصة إبراهيم الخليل حين سأل الله تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى؟ فأمره الله تعالى أن يذبح ـ أربعة من الطير، ويفرقهن أجزاء على الجبال التي حوله، ثم يناديهن، فتلتئم الأجزاء بعضها إلى بعض، ويأتين إلى إبراهيم سعياً،

وفي ذلك يقول الله تعالى: **(وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم).**

فهذه أمثلة حسية واقعة تدل على إمكان إحياء الموتى. وقد سبق الإشارة إلى ما جعله الله تعالى من آيات عيسى بن مريم -عليه السلام- في إحياء الموتى، وإخراجهم من قبورهم بإذن الله تعالى.

وأما دلالة العقل فمن وجهين:

أحدهما: أن الله تعالى فاطرالسموات والأرض ومافيهما خالقهما ابتداء،والقادرعلى ابتداء الخلق لا يعجز عن إعادته، قال الله تعالى: **(وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه).** وقال تعالى: **(كما بدأنا أول خلقٍ نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين).** وقال آمراً بالرد على من أنكر إحياء العظام وهي رميم: **(قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلقٍ عليم).**

الثاني: أن الأرض تكون ميتة هامدة ليس فيها شجرة خضراء، فينزل عليها المطر فتهتز خضراء حية فيها من كل زوج بهيج، والقادر على إحيائها بعد موتها، قادر على إحياء الأموات. قال الله تعالى: **(ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير).** وقال تعالى: **(ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد. والنخل باسقات لها طلع نضيد. رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج).**

٥) وقد ضل قوم من أهل الزيغ فأنكروا عذاب القبر، ونعيمه، زاعمين أن ذلك غير ممكن لمخالفته الواقع، قالوا: فإنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بسعة ولا يضيق.

وهذا الزعم باطل بالشرع، والحس، والعقل:

أما الشرع: فقد سبقت النصوص الدالة على ثبوت عذاب القبر، ونعيمه في فقرة (ب) مما يلتحق بالإيمان باليوم الآخر. وفي صحيح البخاري ـ من حديث ـ ابن عباس رضي الله عنهما قال: "خرج النبي - $ - من بعض حيطان المدينة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما" وذكر الحديث، وفيه "أن أحدهما كان لا يستتر من البول" وفي ـ رواية ـ من (بوله) وأن الآخر كان يمشي بالنميمة.

وأما الحس: فإن النائم يرى في منامه أنه كان في مكان فسيح بهيج يتنعم فيه، أو أنه كان في مكان موحش يتألم منه، وربما يستيقظ أحياناً مما رأى، ومع ذلك فهو على فراشه في حجرته على ما هو عليه. والنوم أخو الموت ولهذا سماه الله تعالى (وفاة) قال الله تعالى: **(الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى).**

وأما العقل: فإن النائم في منامه يرى الرؤيا الحق المطابقة للواقع، وربما رأى النبي - $ - على صفته، ومن رآه على صفته فقد رآه حقاً، ومع ذلك فالنائم في حجرته على فراشه بعيداً عما رأى، فإذا كان هذا ممكناً في أحوال الدنيا، أفلا يكون ممكناً في أحوال الآخرة؟

وأما اعتمادهم فيما زعموه على أنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق، فجوابه من وجوه منها:

الأول: أنه لا تجوز معارضة ما جاء به الشرع بمثل هذه الشبهات الداحضة التي لو تأمل المعارض بها ما جاء به الشرع حق التأمل لعلم بطلان هذه الشبهات وقد قيل:

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

الثاني: أن أحوال البرزخ من أمور الغيب التي لا يدركها الحس، ولو كانت تدرك بالحس لفاتت فائدة الإيمان بالغيب، ولتساوى المؤمنون بالغيب، والجاحدون في التصديق بها.

الثالث: أن العذاب والنعيم وسعة القبر وضيقه إنما يدركها الميت دون غيره، وهذا كما يرى النائم في منامه أنه في مكان ضيق موحش، أو في مكان واسع بهيج، وهو بالنسبة لغيره لم يتغير منامه هو في حجرته وبين فراشه وغطائه، ولقد كان النبي - $ - يوحى إليه وهو بين أصحابه فيسمع الوحي، ولا يسمعه الصحابة، وربما يتمثل له الملك رجلاً فيكلمه، والصحابة لا يرون الملك، ولا يسمعونه.

الرابع: أن إدراك الخلق محدود بما مكنهم الله تعالى من إدراكه، ولا يمكن أن يدركوا كل موجود، فالسموات السبع، والأرض، ومن فيهن، وكل شيء يسبح بحمد الله تسبيحاً حقيقياً يسمعه الله تعالى من شاء من خلقه أحياناً. ومع ذلك هو محجوب عنا، وفي ذلك يقول الله تعالى: **(تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم)**. وهكذا الشياطين، والجن، يسعون في الأرض ذهاباً وإياباً، وقد حضرت الجن إلى رسول الله $ واستمعوا لقراءته وأنصتوا وولوا إلى قومهم منذرين. ومع هذا فهم محجوبون عنا وفي ذلك يقول الله تعالى: **(يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون)**. وإذا كان الخلق لا يدركون كل موجود، فإنه لا يجوز أن ينكروا ما ثبت من أمور الغيب، و لم يدركوه.

الركن السادس: الإيمان بالقدر.

١) **تعريفه:** (القدر) بفتح الدال: (تقدير الله تعالى للكائنات، حسبما سبق به علمه، واقتضته حكمته).

٢) **مراتب القدر:** الإيمان بالقدر يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن الله تعالى علم بكل شيء جملة وتفصيلاً، أزلاً وأبداً، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله أو بأفعال عباده.

الثاني: الإيمان بأن الله كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وفي هذين الأمرين يقول الله تعالى: **(ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير)**.

وفي صحيح مسلم ـ عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله $ يقول: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة".

الثالث: الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى، سواء كانت مما يتعلق بفعله أم مما يتعلق بفعل المخلوقين، قال الله تعالى فيما يتعلق بفعله: **(وربك يخلق ما يشاء ويختار)**. وقال تعالى: **(ويفعل الله ما يشاء)** وقال تعالى: **(هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء)**. وقال تعالى فيما يتعلق بفعل المخلوقين: **(ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم)**. **وقال: (ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون)**.

الرابع: الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها، وصفاتها، وحركاتها، قال الله تعالى: **(الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل)**. وقال تعالى: **(وخلق كل شيء فقدره تقديراً)**. وقال تعالى عن نبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام إنه قال لقومه: **(والله خلقكم وما تعملون)**.

٣) والإيمان بالقدر على ما وصفنا لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية وقدرة عليها، لأن الشرع والواقع دالان على إثبات ذلك له.

أما الشرع: فقد قال الله تعالى في المشيئة: (فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً). وقال تعالى: **(فأتوا حرثكم أنى شئتم)**. وقال تعالى في القدرة: **(فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا)** وقال تعالى: **(لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت)**.

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم أن له مشيئة وقدرة بهما يفعل وبهما يترك، ويفرق بين ما يقع بإرادته، كالمشي، وما يقع بغير إرادته كالارتعاش، لكن مشيئة العبد وقدرته واقعتان بمشيئة الله تعالى، وقدرته لقول الله تعالى: **(لمن شاء منكم أن يستقيم. وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين)**. ولأن الكون كله ملك لله تعالى فلا يكون في ملكه شيء بدون علمه ومشيئته.

٤) والإيمان بالقدر على ما وصفنا لا يمنح العبد حجة على ما ترك من الواجبات أو فعل من المعاصي، وعلى هذا فاحتجاجه به باطل من وجوه:

الأول: قوله تعالى: **(سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون)**. ولو كان لهم حجة بالقدر ما أذاقهم الله بأسه.

الثاني: قوله تعالى: **(رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً)**. ولو كان القدر حجة للمخالفين لم تنتفِ بإرسال الرسل، لأن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقدر الله تعالى.

الثالث: ما رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي $ قال: "ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة. فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله؟ قال: لا، اعملوا فكل

ميسر، ثم قرأ **(فأما من أعطى واتقى)** الآية. وفي لفظ لمسلم: (فكل ميسر لما خلق له). فأمر النبي - $ - بالعمل ونهى عن الاتكال على القدر.

الرابع: أن الله تعالى أمر العبد ونهاه، و لم يكلفه إلا ما يستطيع، قال الله تعالى: **(فاتقوا الله ما استطعتم)**. وقال تعالى: **(لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)**. ولو كان العبد مجبراً على الفعل لكان مكلفاً بما لا يستطيع الخلاص منه، وهذا باطل ولذلك إذا وقعت منه المعصية بجهل، أو نسيان، أو إكراه، فلا إثم عليه لأنه معذور.

الخامس: أن قدر الله تعالى سر مكتوم لا يعلم به إلا بعد وقوع المقدور وإرادة العبد لما يفعله سابقة على فعله فتكون إرادته الفعل غير مبنية على علم منه بقدر الله، وحينئذ تنتفي حجته بالقدر إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه.

السادس: أننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه من أمور دنياه حتى يدركه ولا يعدل عنه إلى ما لا يلائمه ثم يحتج على عدوله بالقدر، فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلى ما يضره ثم يحتج بالقدر؟ أفليس شأن الأمرين واحداً؟!

وإليك مثالاً يوضح ذلك: لو كان بين يدي الإنسان طريقان أحدهما ينتهي به إلى بلد كلها فوضى، وقتل، ونهب، وانتهاك للأعراض وخوف، وجوع، والثاني ينتهي به إلى بلد كلها نظام، وأمن مستتب، وعيش رغيد، واحترام للنفوس والأعراض والأموال، فأي الطريقين يسلك؟

إنه سيسلك الطريق الثاني الذي ينتهي به إلى بلد النظام والأمن، ولا يمكن لأي عاقل أبداً أن يسلك طريق بلد الفوضى، والخوف، ويحتج بالقدر، فلماذا يسلك في أمر الآخرة طريق النار دون الجنة ويحتج بالقدر؟

مثال آخر: نرى المريض يؤمر بالدواء فيشربه ونفسه لا تشتهيه، وينهى عن الطعام الذي يضره فيتركه ونفسه تشتهيه، كل ذلك طلباً للشفاء والسلامة، ولا يمكن أن يمتنع عن شرب الدواء أو يأكل الطعام الذي يضره ويحتج بالقدر فلماذا يترك الإنسان ما أمر الله ورسوله به أو يفعل ما نهى الله ورسوله عنه ثم يحتج بالقدر؟

السابع: أن المحتج بالقدر على ما تركه من الواجبات أو فعله من المعاصي، لو اعتدى عليه شخص فأخذ ماله أو انتهك حرمته ثم احتج بالقدر، وقال: لا تلمني فإن اعتدائي كان بقدر الله، لم يقبل حجته. فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه، ويحتج به لنفسه في اعتدائه على حق الله تعالى؟!

ويذكر أن ـ أمير المؤمنين ـ عمر بن الخطاب رضي الله عنه رفع إليه سارق استحق القطع، فأمر بقطع يده فقال: مهلاً يا أمير المؤمنين، فإنما سرقت بقدر الله فقال عمر: ونحن إنما نقطع بقدر الله.

٥) للإيمان بالقدر ثمرات جليلة منها:

الأولى: الاعتماد على الله تعالى، عند فعل الأسباب بحيث لا يعتمد على السبب نفسه لأن كل شيء بقدر الله تعالى.

الثانية: أن لا يعجب المرء بنفسه عند حصول مراده، لأن حصوله نعمة من الله تعالى، بما قدره من أسباب الخير، والنجاح، وإعجابه بنفسه ينسيه شكر هذه النعمة.

الثالثة: الطمأنينة، والراحة النفسية بما يجري عليه من أقدار الله تعالى فلا يقلق بفوات محبوب، أو حصول مكروه، لأن ذلك بقدر الله الذي له ملك السموات والأرض وهو كائن لا محالة وفي ذلك يقول الله تعالى: **(ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير. لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا**

تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور). ويقول النبي $: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، ولـيس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له). رواه مسلم.

٦) قد ضل في القدر طائفتان:

إحداهما: **الجبرية**، الذين قالوا: إن العبد مجبر على عمله وليس له فيه إرادة ولا قدرة.

الثانية: **القدرية**، الذين قالوا: إن العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة، وليس لمشيئة الله تعالى وقدرته فيه أثر.

والرد على الطائفة الأولى (الجبرية) بالشرع والواقع:

أما **الشرع**: فإن الله تعالى أثبت للعبد إرادة، ومشيئة، وأضاف العمل إليه قال الله تعالى: **(منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة)**. وقال: **(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها)** الآية. وقال: **(من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد)**.

وأما **الواقع**: فإن كل إنسان يعلم الفرق بين أفعاله الاختيارية التي يفعلها بإرادته كالأكل، والشرب، والبيع، والشـراء، وبين ما يقع عليه بغير إرادته كالارتعاش من الحمى، والسقوط من السطح، فهو في الأول فاعل مختار بإرادته مـن غـير جبر، وفي الثاني غير مختار ولا مريد لما وقع عليه.

والرد على الطائفة الثانية (القدرية) بالشرع والعقل:

أما **الشرع**: فإن الله تعالى خالق كل شيء، وكل شيء كائن بمشيئته، وقد بين الله تعالى في كتابه أن أفعال العبـاد تقـع بمشيئته فقال تعالى: **(ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكـن اختلفـوا فمنـهم مـن آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد)**. وقال تعالى: **(ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين)**.

وأما **العقل**: فإن الكون كله مملوك لله تعالى، والإنسان من هذا الكون فهـو مملـوك لله تعـالى، ولا يمكـن للمملـوك أن يتصرف في ملك المالك إلا بإذنه ومشيئته.

أهداف العقيدة الإسلامية:

الهدف (لغة) يطلق على معان منها: الغرض ينصب ليرمى إليه وكل شيء مقصود.

وأهداف العقيدة الإسلامية: هي مقاصدها وغاياتها النبيلة المترتبة على التمسك بها وهي كثيرة متنوعة. فمنها:

أولاً: إخلاص النية والعبادة لله تعالى وحده، **لأنه** الخالق لا شريك له فوجب أن يكون القصد والعبادة له وحده.

ثانياً: تحرير العقل والفكر من التخبط الفوضوي الناشيء عن خلو القلب من هذه العقيدة، **لأن** من خلا قلبه منها فهو إما فارغ القلب من كل عقيدة وعابد للمادة الحسية فقط، وإما متخبط في ضلالات العقائد والخرافات.

ثالثاً: الراحة النفسية والفكرية فلا قلق في النفس ولا اضطراب في الفكر، **لأن** هذه العقيدة تصل المؤمن بخالقه، فيرضى به رباً مدبراً، وحاكماً مشرعاً، فيطمئن قلبه بقدره، وينشرح صدره للإسلام، فلا يبغي عنه بديلاً.

رابعاً: سلامة القصد والعمل من الانحراف في عبادة الله تعالى أو معاملة المخلوقين، **لأن** من أسسها الإيمان بالرسل المتضمن لاتباع طريقتهم ذات السلامة في القصد والعمل.

خامساً: الحزم والجد في الأمور، بحيث لا يفوت فرصة للعمل الصالح إلا استغلها فيه رجاء للثواب، ولا يرى موقع إثم إلا ابتعد عنه خوفاً من العقاب، **لأن** من أسسها الإيمان بالبعث والجزاء على الأعمال. **(ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عن ما يعملون).** وقد حث النبي - $ - على هذه الغاية في قوله: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان" رواه مسلم.

سادساً: تكوين أمة قوية تبذل كل غال ورخيص في تثبيت دينها، وتوطيد دعائمه، غير مبالية بما يصيبها في سبيل ذلك، وفي هذا يقول الله تعالى:**(إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون).**

سابعاً: الوصول إلى سعادة الدنيا والآخرة بإصلاح الأفراد والجماعات، ونيل الثواب والمكرمات، وفي ذلك يقول الله تعالى: **(من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون).**

هذه بعض أهداف العقيدة الإسلامية نرجو الله تعالى أن يحققها لنا ولجميع المسلمين. إنه جواد كريم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.